

ويكفي أن نقرأ العبارات التالية للدكتور عز الدين إسماعيل وهو من رواد الاتجاه ويمثل أبحاثه فيه مرحلة من مراحل نقده يقول : إذا كان من الممكن الترحيب بهذا المنهج بوصفه أداة للنقد في غاية الأهمية ، فإنه لا يمكن قبوله بوصفه بديلا نهائيا عن كل المناهج الأخرى^(٧) .

إن الحوار مع دعاة الاتجاه في ظننا ينبغي أن يبدأ من مناقشة مقولة محددة يشتركون في دعمها بدءاً من الرواد ، فهم يقولون إن الانتقال بدراسة الشعر إلى علم النفس انتقال به إلى العلم بدقة نتائجه . ولهذا الانتقال إلى العلم سياق تاريخي في مسيرة فكرنا المعاصر ، فقد أخذ العلم وجاهة وأهمية في مجتمع عرف قيمته في مقاييس التقدم والتخلف ، وقد كان اعتبار المشنغلين بالأدب علماء محل سخريه ، إذ كان هناك اعتقاد منذ مطلع النهضة المعاصرة أن العلم لا محالة مفبل على تدمير الأدب ، وأن الشعر سيسقط حتماً ، أو سينظر إليه - على أكثر تقدير باعتباره من نتاج الماضي ، وبقايا أساطير الأولين .

كانت القضية محل نقاش حاد حتى اضطر طه حسين أن يدافع عن معسكر المشنغلين بالأدب بحرارة فيما كان ينشره بين الناس من مقالات جعل عنوانها البارز الحياة في سبيل الأدب . ولم تكن عبارات الرائد الكبير نخلو من حماس ، وكان على الآخرين أن يثبتوا جدارة الأدب بالبحث العلمي . ولذلك كله حين حاول بعض النقاد الأخذ بنتائج علم النفس المثيرة في تفسير الأدب كانوا جميعهم يعلنون عن بداية انجاء جديد يصبح النقد فيه علما من العلوم « المحترمة » .

وإذا أعدنا النظر في المقدمات « الدعائية » لعدد من دعاة ربط الأدب بعلم النفس سنلاحظ أن أكثرهم - إن لم يكن كلهم ، يعلنون عن قيام عهد جديد

(٧) د. عز الدين إسماعيل الأدب وفونه ص ١٠٧ وخلاصة مذهب الناقد من خلال كتاباته التي لم يتوقف عند التحليل النفسي للأدب بملها عبارته التالية : الشعر على مر العصور وفي مختلف الدراسات قد أكد ومارال يؤكد جفعه باهره ، هي أنه قيمة في ذاته وقمه خارج ذاته (روح العصر ص ٥٨ مقاله بعنوان نحو تفسير حضارى للشعر) وقد عبر عن المعنى نفسه في غير موضع ، كأن يقول : قيمة الشعر خارج ذاته ليست موحدة أو شبيهة موحدة ، ومن ثم فإنها لا تحصص لمعيار واحد محدد أو شبع محدد . روح العصر ص ٥٩ وكتوله : إن المناهج جميعها تتحرك داخل دائرة واحدة وفي إطار معنوي واحد ، بتمثل في أنها جميعا لاتعامل مع الشعر بوصفه ظاهرة وجودية مطلقه ، بل بوصفه ظاهرة مولدة من طواهر حيوية متجاسسه . المرجع نفسه ص ٥٨ .